الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الأزمة البلقانية وتداعياتها على الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ العالم المعاصر

إعداد الطالبة:

✍ جريدة بسمة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
كمال بيرم	أستاذ محاضر – أ–	رئيسا
محمد يعيش	أستاذ محاضر – أ–	مشرفا
محمود بوكسيبة	أستاذ محاضر – ب–	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 – 1437 هـ / 2015– 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا لكل من كان خير معين لي في إعداد هذا البحث

إلى أمي الغالية وأبي العزيز – حفظهما الله ورعاهما –

وإلى إخوتي وأخواتي أيمن، سلاف، بشرى، نزيهة، خولة

وإلى زملاء وزميلات الدراسة وبالخصوص الأستاذة " نمار وردة "

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة

شكر وتقدير

في البداية أشكر الله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد، كما يشرفني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير

إلى الدكتور المشرف

"محمـــــد يعيش"

الذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة التي مهدت لي الطريق لإتمام هذا العمل

الأماكن	الصفحات
– أدرنة	35،27،25،08
– الإسبان	07
– إستانبول	28،18،14
– الأستانة	25،23،18
– آسيا	28،17
– آسيا الصغرى	08
– آسيا الوسطى	06
– أشقودره	32،28
– ألبانيا	26،12،09،05
– ألمانيا	14،13،06
– أمريكا	06
– الأناضول	28،17،07
– الأندلس	07
– أنقرة	33
– أنيوس	26،25
– أوروبا	35،31،28،27،26،24،17،15،09،08،07،06
– أوروبا الغربية	06
– الباب العالي	25،24

- البحر الأبيض المتوسط 06،05
- البحر الأسود 26،18،15،06،05
- بحر البلطيق 06
- بحر الشمال 06
- بحر إيجة 26،25،24،18،06،05
- بحر مرمرة 05
- بلاد الشام 28
- بلغاريا 19،18،17،16،15،13،12،09،08،05
28،27،26،25،24،23،22،21
- بلغراد 10
- بلفنة 16
- البلقان 35،31،23،21،16،15،12،07،05
- البندقية 10
- البوسفور 18
- البوسنة 19،14،13،12،10،09،08،05
- بيزنطة 08،07
- تراقيا 32،07
- تركيا 33،22،21
- الجبل الأسود 26،25،24،23،22،21،18،17،14،13،05

- جزيرة كريت 26،19
- جمهورية مقدونيا 32،05
- الحجاز 28
- الدردنيل 18
- الدولة العثمانية 21،19،18،17،15،14،14،13،12،10،09
35،33،31،28،27،26،25،24،23،22
- رودس 10
- روسيا 31،18،17،16،15،13،05
- رومانيا 27،26،21،18،17،15،09
- الروملي 33،10
- سالونيك 32،28
- سكوتاري 25
- شبه جزيرة البلقان 18،12،08،07،05
- الشر ق الأوسط 05
- صربيا 16،15،14،13،10،09،08،05
27،26،24،23،22،2،18،17
- العراق 28
- غاليبولي 07
- غرناطة 07

- القسطنطينية 26،24،15،09،08
- قوصو 32،28
- القوقاز 06
- كرواتيا 05
- كوسوفو 05
- لندن 27،26،24
- مانستير 32،28
- المجر 10،09
- المشرق العربي 33،09
- مقدونيا 32،12
- النمسا 31،19،18،15،14،13،10،05
- نهر الدانوب 15،06،05
- نهر الراين 06،05
- الهرسك 19،14،13،12،10،05
- يانينا 28،25،24
- يوغسلافيا 09،06

الأعلام	الصفحات
- أورخان	80،07
- بايزيد الثاني	09
- بطرس الأكبر	14
- جمال باشا	36
- سليم الأول	09
- سليم الثاني	10
- سليمان الثاني	09
- سليمان القانوني	10
- عبد الحميد الثاني	15،14،13
- عثمان الأول	07
- عثمان باشا	15
- فولتير	34
- القديس يوحنا	10
- محمد الثاني	10،07
- محمد الفاتح	09،08
- محمود شوكة باشا	25
- مراد الأول	08
- مراد الرابع	10
- مراد خان	08،07

إهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	أ – ت
مدخل: إقليم البلقان والتوسع العثماني	04
1 – الموقع الجغرافي لمنطقة البلقان	05
2 – أهمية إقليم البلقان	05- 06
3 – التوسع العثماني في منطقة البلقان	06- 10
الفصل الأول: الصراع الدولي حول منطقة البلقان	11
1 – اليقظة القومية في البلقان	12
2 – الثورات في منطقة البلقان	13- 14
3 – الحرب الروسية العثمانية	15- 17
4 – نشاط الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في ولايات البلقان	17- 19
الفصل الثاني: الحروب البلقانية ونتائجها	20
1 – الحرب البلقانية الأولى 1912م	21- 26
2 – الحرب البلقانية الثانية 1913م	26- 28
3 – نتائج الحروب البلقانية	28- 29
الفصل الثالث: انعكاسات حروب البلقان على الدولة العثمانية	30
1 – خسائر الدولة العثمانية في البلقان	31- 32
2 – وضعية المسلمين في إقليم البلقان بعد هزيمة العثمانيين	33- 34
3 – التمزق الداخلي للدولة العثمانية	34- 36
خاتمة	38- 39
الملاحق	41- 43
قائمة المصادر والمراجع	45- 48
فهرس الأعلام	50
فهرس الأماكن	51- 54

فهرس الموضوعات	55- 56

منذ سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين ظلت العوامل الدينية والاقتصادية تدفع الدول الأوروبية إلى السيطرة على الممرات العثمانية في سبيل تأمين تجارتها وتنفيذ إدعاءاتها في وراثة الإمبراطورية البيزنطية وذلك بالتوسع العسكري تارة وبأسلوب التفاهم الدولي تارة أخرى، وقد أعلنت هذه الدول مرارا عن سياستها التقسيمية للدولة العثمانية إلا أن خططها اصطدمت بتفطن الخلافة العثمانية من جهة وبتضارب مصالح هاته الدول من جهة أخرى، فالنمسا كانت تنازع روسيا على الزعامة في إقليم البلقان في حين عارضت بريطانيا وفرنسا القضاء على الدولة العثمانية لأسباب إستراتيجية واقتصادية.

وقد نتج عن تضارب مصالح الدول الأوروبية في السلطنة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأزم متواصل للأوضاع السياسية الدولية تجلى في الأزمة البلقانية التي كانت لها تداعيات كبرى على الدولة العثمانية أدت إلى خسارة معظم ممتلكاتها الأوروبية وبداية التمزق الداخلي فيها.

ومن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع دوافع ذاتية تتمثل في الميول الشخصي إلى دراسة تاريخ الدولة العثمانية والرغبة في معرفة تاريخ إقليم البلقان الذي كان سببا في التوتر والصراعات الدولية، أما الدوافع الموضوعية فتتمثل في تقديم دراسة متكاملة حول الفترة التي تميزت بتغيرات جذرية بالنسبة لمنطقة البلقان أو ما يسمى ببرميل البارود والتي تعد من أهم المواضيع التي تحتاج إلي التحليل الدقيق.

وقد حملني هذا إلى طرح إشكالية رئيسية لموضوعي الموسوم بعنوان الأزمة البلقانية وتداعياتها على الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والمتمثلة في:

- إلى أي مدى ساهمت الأزمة البلقانية في تفكك الدولة العثمانية؟

ومن خلال الإشكالية الرئيسية نطرح جملة من الأسئلة الفرعية التي عالجناها في كل فصل من المذكرة وهي:

- ما هي أهمية إقليم البلقان؟

- كيف أثرت اليقظة القومية في نشوب الصراع الدولي حول المنطقة؟

– ما هي مجريات حروب البلقان؟ وفيما تتمثل انعكاساتها على الدولة العثمانية؟

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التاريخي لسرد الأحداث وفق تسلسل زمني يراعي الأماكن والشخصيات والحوادث كما كانت في الماضي، كما استعملت المنهج الوصفي في العديد من المرات لكي أصف الوقائع وأنقلها كما وردت من خلال المصادر والمراجع التي تتحدث عنها.

– وللإجابة على الإشكالية المطروحة اتخذت الخطة التالية التي تضمنت مقدمة وأربعة فصول، ويندرج تحت كل فصل مجموعة من العناصر إضافة إلى بعض الملاحق وخاتمة.

– الفصل الأول وهو بمثابة فصل تمهيدي تحت عنوان إقليم البلقان والتوسع العثماني وتناولت فيه الموقع الجغرافي لمنطقة البلقان وأهميته والتوسع العثماني في المنطقة.

– الفصل الثاني تحت عنوان الصراع الدولي حول منطقة البلقان وتطرقت فيه إلى اليقظة القومية والثورات في البلقان و الحرب الروسية العثمانية ونشاط الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في الولايات البلقانية.

– الفصل الثالث بعنوان حروب البلقان ونتائجها ودرست فيه الحرب البلقانية الأولى والحرب البلقانية الثانية والنتائج المترتبة عنهما.

– الفصل الرابع تحت عنوان انعكاسات حروب البلقان على الدولة العثمانية وتناولت فيه خسائر الدولة العثمانية في أوروبا ووضعية المسلمين في إقليم البلقان بعد هزيمة العثمانيين إضافة إلى التمزق الداخلي في الدولة العثمانية.

وأنهيت دراستي هاته بخاتمة تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من البحث، ثم أتبعت الخاتمة بملاحق وهي عبارة عن خرائط تخدم الموضوع.

أما عن المصادر والمراجع فقد حاولت التنويع في الكتب المستعملة لمؤلفين مختلفين كل حسب توجهاته وفترة كتابته ومن أهمها من حيث الاستخدام:

كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي وكتاب أوروبا العثمانية لبيتر شوجر اللذان استفدت منهما في دراسة التوسع العثماني في منطقة البلقان والثورات والتمردات

فيها، وكتاب تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والإتحاد البلقاني ليوسف البستاني والذي أفادني في الفصل المتعلق بحروب البلقان.

إضافة إلى كتاب العثمانيون والبلقان لعلي حسون الذي وضفته في دراسة نشاط الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في الولايات البلقانية ونتائج حروب البلقان.

وكما اعتمدت على كتاب هموم ومشكلات مسلمي البلقان لمحمد محمد قاروط والذي استعنت به في دراسة وضعية المسلمين بعد انهزام الدولة العثمانية في حروب البلقان.

الصعوبات المعترضة:

من الطبيعي أن يواجه الباحث العديد من الصعوبات في كل مراحل إعداد بحثه، ومن الصعوبات التي واجهتني لإنجاز هذه الدراسة أذكر:

صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية المتخصصة، وصعوبة فرز المادة العلمية نظرا لتداخلها وتشابكها، إضافة إلى نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي وكذلك تحديد صفحات المذكرة والوقت الضيق المخصص لإعداد البحث.

1 – الموقع الجغرافي لمنطقة البلقان:

البلقان[1] منطقة جغرافية تقع في الجزء الشرقي لقارة أوروبا[2]، وهي شبه جزيرة تمتد حدودها من نهر الدانوب شمالا إلى بحر مرمرة وبحر إيجة ومضيق الدردنيل جنوبا والبحر الأيوني في الجنوب الغربي، كما تطل دول البلقان على البحر الأسود من الشرق[3].

تصل مساحتها إلى حوالي 728000 كم2 ويزيد عدد سكانها عن 53 مليون نسمة، وتضم منطقة شبه جزيرة البلقان الدول التالية: ألبانيا، كوسوفو، بلغاريا، البوسنة والهرسك، صربيا، الجبل الأسود، كرواتيا، جمهورية مقدونيا، اليونان[4]،(ينظر الملحق رقم01).

2 – أهمية إقليم البلقان:

برز إقليم البلقان تاريخيا كأحد المناطق الحيوية والإستراتيجية خاصة في نهاية القرن 19م، حيث أن المسألة الشرقية[5] التي طفحت على سطح الأحداث الأوروبية وتصارع قواها الاستعمارية لم تكن إلا لإيجاد كيفية لانتزاع إقليم البلقان من السيطرة العثمانية، فروسيا كانت تسعى للوصول إلى المضايق التركية عبر البلقان، أما النمسا فكانت مصممة على مقاومة التوسع الروسي في الإقليم لكون نهر الدانوب شريانها المائي يمر عبر هذا الإقليم، وكانت مشكلات الأقليات القومية والدينية في الإقليم أحد الأسباب الرئيسية لتفجير الحرب العالمية الأولى.

وجغرافيا يتمتع إقليم البلقان بموقع حيوي جعله موضع لتنافس القوى الكبرى، فهو يتوسط القارة الأوروبية تقريبا ومتاخم لمنطقة البحر الأبيض المتوسط المهمة لخطوط الملاحة الدولية وقريب إلى حد ما من منابع النفط في الشرق الأوسط، كما ساهم هذا الموقع في

---

[1]– البلقان: كلمة تركية الأصل معناها الجبال التي تتكون من سلاسل جبلية متفاوتة الارتفاع، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الأربعون، دار المشرق، بيروت، 2003، ص 135.

[2]– عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، لبنان،1979، ص 561.

[3]– محمد محمد قاروط، هموم ومشكلات مسلمي البلقان، دار المكتبي للطباعة، سوريا،2000، ص 13.

[4]– عماد الأعرج، دول البلقان وتأثير حروبها على القضية الفلسطينية، مجلة إبداع، العدد 53، معهد فلسطين للدراسات الإستراتيجية، فلسطين، 2009، ص 06.

[5]– المسألة الشرقية: تعبير يقصد به تعريف الدولة العثمانية في ضوء علاقاتها مع الشعوب التي خضعت لها وتألفت منها الدولة، ثم في ضوء علاقاتها مع الدول الأوروبية خصوصا، للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج6، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، 1990، ص 167.

تفعيل الدور الذي يمكن أن يلعبه الإقليم في السياسة الدولية في الوقت الحاضر فكون الإقليم متاخم لأوروبا الغربية فإن ما يحصل فيه من اضطراب وعدم استقرار ينعكس بشكل مباشر على دول الإتحاد الأوروبي وحركتها.

غالبا ما يتم التقليل من الدور الإستراتيجي لموقع إقليم البلقان وجميع المناطق الجنوبية والشرقية من أوروبا مع أنها نقطة عبور رئيسية بين أوروبا الغربية وأسيا الوسطى والقوقاز ويوغسلافيا السابقة، ونقدم مثالا لذلك فهي تقع على مفترق طرق إستراتيجية أوروبية ثلاث طريق الدانوب وطريق نحو الشرق وطريق الجنوب عبر الجبال البلقانية[1]، لذلك فإن تفتيت يوغوسلافيا السابقة بتعاون أمريكي ألماني الغرض منه إيجاد مواقع لهما في البلقان عبر إنشاء قناة جديدة تربط نهر الدانوب بنهر الراين وتسمح بمرور البواخر التي تكون وجهتها بحر الشمال وبحر البلطيق والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، فضلا عن ذلك فإن اقتراب إقليم البلقان من منطقة المضايق التركية وامتداداتها نحو الجزر اليونانية في بحر إيجة تمثل موقعا حيويا للسيطرة على مداخل ومخارج الأسطول الروسي من البحر الأسود ويوغسلافيا السابقة.

وحضاريا يعد إقليم البلقان طريقا بريا وبحريا أساسيا فهو ملتقى الحضارات المعاصرة مثلما كان في الماضي ملتقى الحضارات القديمة كاليونانية والفرعونية، كما أنه سيبقى بؤرة لصراعات القوى الكبرى[2].

3- التوسع العثماني في منطقة البلقان:

كان توسع الدولة العثمانية[3] العسكري هو آخر توسع إسلامي في أوروبا المسيحية، وقد بدء هذا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبلغ ذروته في القرن السادس عشر، واستمرت هذه العمليات على فترات متباعدة في القرن التالي في وقت كانت فيه موجة

---

[1]- نزار إسماعيل عبد اللطيف، التنافس الروسي- التركي على إقليم البلقان بعد الحرب الباردة، مجلة العلوم السياسية ، العدد37، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد،(د.ت)، ص211.

[2]- المرجع نفسه، ص 212.

[3]- الدولة العثمانية: هي دولة قامت في الأناضول على أنقاض دولة سلاجقة الروم ثم توسعت في البلقان والبلاد العربية في آسيا والمغرب العربي، وتفككت الدولة العثمانية نهائيا بعد الحرب العالمية الأولى بإعلان مصطفى كمال الجمهورية التركية عام 1923م وألغى الخلافة الإسلامية سنة 1924م، للمزيد ينظر: يحي محمد تيهان، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص 152.

الإسلام تنحصر في الأندلس بسقوط غرناطة في أيدي الإسبان، وعلى ذلك فالخسارة التي تعرض لها الإسلام في غرب أوروبا قام العثمانيون بتعويضها على نحو من أنحاء شرق أوروبا[1].

بدأ العثمانيون يدخلون بوابة التاريخ من أوسع الأبواب تحت قيادة عثمان الأول وخليفته أورخان وابنه مراد خان، فاحتلوا الأراضي البيزنطية غربيي الأناضول[2] ثم البلاد الواقعة في جنوب شرق أوروبا، وهناك أسباب كثيرة ومتعددة تفسر كيف أن الإمبراطورية العثمانية لم تكن في سلام بل كان عليها أن تكون في حرب دائمة، وتتلخص هذه الأسباب في حاجة العثمانيين للغنائم التي كانت تعد مصدرا كبيرا و أساسيا للخزينة، كذلك حاجتها إلى المزيد من الأرض بالإضافة إلى توسيع دار الإسلام، وهو الأمر الذي أصبح في عهد السلطان محمد الثاني يمثل ضرورة ملحة للغزو من أجل صالح البلاد[3].

نشطت التوسعات العثمانية في البلقان فعندما أكمل أورخان فتوحاته أرسل ابنه سليمان إلى الشاطئ الأوروبي واستولى على حصن زمبه zampe [4]، وفي عام 1358م أصاب مدينة تراقيا[5] زلزال فانهارت أسوار غاليبولي[6] وهجرها أهلها، مما سهل على العثمانيين دخولها وأصبحت قاعدة عثمانية في أوروبا ومنها انطلقت الحملات الأولى وانتهت بالاستيلاء على كامل شبه جزيرة البلقان[7].

---

[1]– إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995، ص 15.

[2]– الأناضول: هي شبه جزيرة مستطيلة تتكون من 755.688 كم^2 على امتداد الغرب من قارة آسيا، وهي تشكل 97٪ من أراضي تركيا في الوقت الحالي، ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000، ص 39.

[3]– بيتر شوجر، أوروبا العثمانية، تر: عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998، ص ص 84–90.

[4]– محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص 16.

[5]– ترقيا: مدينة قديمة في جنوب شرقي أوروبا وهي قسمان غربي يتبع اليونان وشرقي يكون القطاع الأوروبي من تركيا بين المضايق وبحر مرمرة، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 170.

[6]– غاليبولي: مدينة بتركيا الأوروبية تقع على مضيق باسمها، وقد اكتسبت أهميتها بوقوعها على مضيق بضفة الدردنيل وهو المجرى الوحيد بين البحر المتوسط وبحر مرمرة، للمزيد ينظر: علي حسون، العثمانيون والبلقان، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986، ص45.

[7]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص47.

توفي أوروخان عام 1360م بعد ما أوجد قاعدة للتوسع العثماني في أوروبا وخلفه ابنه مراد سنة 1361م واستطاع أن يستمر في عملياته الحربية في أوروبا وفي آسيا الصغرى في وقت واحد تقريبا، هاجم الجيش العثماني في أوروبا أملاك الدولة البيزنطية واستولى على أدرنة[1] سنة 1366م وجعل منها عاصمة له وبذلك انتقلت عاصمة الدولة من آسيا الصغرى إلى أوروبا[2].

وتمكن السلطان من الاستيلاء على سالونيك[3]، وكان ذلك سببا في تكون تحالف صليبي ضد القوى العثمانية، غير أن السلطان مراد الأول في معركة قوصوه[4] سنة 1389م تمكن من صد هذا التحالف واستولى قبل نهاية القرن الرابع عشر ميلادي على معظم ممتلكات بيزنطة في أوروبا، باستثناء القسطنطينية حيث تم فتح بلغاريا وجزء من صربيا والبوسنة[5]، وتمكن العثمانيون في نيقوبولس ببلغاريا من هزيمة جيش أوروبي ضم ملك البلغار وملك الصرب[6]، وتوالت بعد ذلك الفتوحات العثمانية وسيطرتها على مناطق البلقان إلا أن الفتح العظيم الذي تحقق على يد السلطان محمد الفاتح بن مراد بن بايزيد هو فتح القسطنطينية وهي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي فقدت معظم أراضيها وممتلكاتها، وتعد من أصغر الدول القائمة في شبه جزيرة البلقان[7].

---

[1]– أدرنة: مدينة تركية على نهر ماريتسا قرب الحدود اليونانية، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 30.

[2]– مفيد الزيدي، موسوعة العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص 15.

[3]– سالونيك: مدينة رومية قديمة واقعة جنوب بلاد مقدونية على بحر أرخبيل اليونان، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 173.

[4]– معركة قوصوه: هاجم السلطان مراد الأول شبه جزيرة البلقان وفتح أدرنة ثم اتخذها عاصمة للدولة وقد نجح السلطان في في فتح البلقان بعد أن انتصر على الصرب والبلغار في معركة قوصوه، ينظر: نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2011م، ص 418.

[5]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 49.

[6]– إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988، ص 43.

[7]– برنارد لويس، استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تر: سيد رضوان علي، ط2، دار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1982، ص 18.

وكان أول عمل قام به محمد الفاتح هو بناء قلعة الروم حصار الحصينة [1] على بعد سبعة كيلو مترات من أبواب القسطنطينية، ومن أعماله تحويل العديد من الكنائس إلى مساجد أهمها تحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد، وكما اتخذ السلطان من القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية[2].

أتاح فتح القسطنطينية للقوى العثمانية أن تتجه إلى باقي أوروبا رومانيا وبلغاريا واليونان ويوغسلافيا وألبانيا والمجر، وبذلك قلبت الدولة العثمانية ميزان القوى فبعد أن كان العالم الإسلامي يقف موقف الدفاع والعالم الأوروبي يتخذ موقف الهجوم، انعكس الوضع حيث ظلت أوروبا منذ التاريخ 1453م وإلى ثلاثة قرون تقف موقف الدفاع في وجه الفتح العثماني[3].

وبعد سقوط القسطنطينية انفتح المجال أمام الفتح العثماني نحو أوروبا وأخضع السلطان العثماني كل من الصرب والبوسنة واقترب من المجر، وقد حاصر رودس ثلاثة أشهر ولم يتمكن من فتحها لحصانتها وتوفي بعد ذلك السلطان عام 1481م[4]، وتولى الحكم بعده ابنه بايزيد الثاني وفي عهده توقفت الفتوحات نضرا للمشاكل التي واجهته من جهة أخيه جم داخل الدولة، وتعرض في أواخر حكمه لعصيان أبنائه الثلاثة فاستقال متنازلا لابنه سليم بالحكم[5]، وجلس على عرش السلطنة سنة 1512م ليكمل فتوحاته في المشرق العربي، وتوفي السلطان سليم الأول سنة 1520م[6]، وخلفه ابنه سليمان الثاني وحكم لمدة ثمانية وأربعين عاما ويعتبر عصره من أزهى العصور في العهد العثماني، وقد أطلق عليه العثمانيون اسم سليمان القانوني وذلك لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهده، حيث

---

[1]– قلعة الروم حصار الحصينة: بنيت هذه القلعة عام 1452م من قبل محمد الفاتح على الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، للمزيد ينظر: علي حسون، مرجع سابق، ص 82.

[2]– مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج6، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004، ص 195.

[3]– تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية (1280– 1924م)، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين،2015،ص 94.

[4]– محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية العلية، تر: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981، ص ص 187–188.

[5]– علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد،2001، ص163.

[6]– المرجع نفسه، ص 176.

تمكن من فتح بلغراد[1] وفتح رودس من فرسان القديس يوحنا كما استولى على المجر التي أصبحت ولاية عثمانية لمدة 140 سنة[2]، ثم خلفه ابنه سليم الثاني سنة 1566م وفي عهده هزم الأسطول العثماني سنة 1581م لأنه تخلى عن شؤون الإدارة وانحصر اهتمامه بالحريم[3].

وحين تولى مراد الرابع الحكم سنة 1623م كانت الدولة تعاني من الفوضى السياسية والمالية وكان معظم الروميللي[4] قد وقعوا في أيدي المتمردين[5]، وبعد نهاية حكم مراد الرابع سارت الدولة العثمانية من جديد في طريق الاضمحلال ولم ينقذها سوى الجهود التي بذلتها أسرة كوبريللي (1656- 1683)[6].

وفي نهاية القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر وقعت الدولة العثمانية مجموعة من معاهدات الصلح مع الدول الأوروبية تنازلت فيها على العديد من ممتلكاتها وسجل هذا بداية الانكماش المستمر في أملاك الدولة، ففي أوائل القرن الثامن عشر تجدد التحالف بين النمسا والبندقية سنة 1716م والذي انعكس على الدولة العثمانية بخسائر جديدة، وقد توسطت كل من بريطانيا وهولندا إلى عقد صلح سنة 1718م والذي بمقتضاه انتزع النمساويون بلغراد وأراضي أخرى من الصرب، غير أن النمسا في حروبها مع الدولة العثمانية خلال القرنين 18م و19م لم تتحصل على أراضي جديدة إلى غاية عام 1878م حين احتلت البوسنة والهرسك[7].

---

[1]- بلغراد: أي المدينة البيضاء وتقع على الشاطئ الأيمن لنهر الدانوب استولى عليها العثمانيون سنة 1521م، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 134.

[2]- علي حسون، المرجع السابق، ص ص 129- 130.

[3]- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 90.

[4]- الروميللي: تطلق هذه التسمية على الولايات التركية وجميع جزائر بحر إيجة، أي على البقاع الأوروبية التي كانت تخضع للدولة العثمانية، للمزيد ينظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 333.

[5]- تيسير جبارة، المرجع السابق، ص 227.

[6]- بيتر شوجر، المرجع السابق، ص 217.

[7]- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 156.

1 – اليقظة القومية في البلقان:

في الفترة الممتدة ما بين معاهدة باريس[1] واندلاع الأزمة البلقانية كان قسم كبير من شبه جزيرة البلقان تحت ظل الحكم العثماني ومن بين هذه المناطق بلغاريا ومقدونيا والبوسنة والهرسك وألبانيا باستثناء اليونان التي كانت الدولة الوحيدة المستقلة، وبعد حرب القرم[2] ازدادت انتفاضات شعوب البلقان للتخلص من الحكم العثماني رغم مراسيم الإصلاح التي أصدرتها الحكومة إلا أنها لم تستطع أن تحد من تلك الثورات[3].

لقد كانت هناك العديد من العوامل التي أدت بشعوب البلقان إلى التمرد على الدولة العثمانية منها العامل الديني والفوارق الاجتماعية والاضطهاد والتسلط العثماني ونظام الضرائب والجباية في الولايات العثمانية التي عانت منه الفئات الاجتماعية دون استثناء[4]، وقد كان نمو الوعي القومي بين شعوب البلقان عاملا حاسما للثورة ضد العثمانيين وحكمهم واشتد هذا الشعور بعد حصول الصرب على استقلالهم الذاتي في بداية القرن 19م واستقلال اليونان سنة 1830م وتوحيد رومانيا في 1862م، هكذا نشأت في البلقان تيارات كالجامعة الصربية والجامعة السلافية في شكل تكتلات عرقية وتيارات انفصالية كان لها تأثير كبير على شعوب البلقان[5].

---

[1]– معاهدة باريس: هي المعاهدة التي عقدت في باريس من 25 فبراير إلى 30 مارس 1856م وأنهت الحرب القائمة بين الدولة العثمانية وروسيا التي استمرت ثلاث سنوات، واشتملت على 34 مادة، للمزيد ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 211.

[2]– حرب القرم: هي حرب قامت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية في 04 أكتوبر 1853م واستمرت حتى 1856م، ومن أسبابها الأطماع الإقليمية لروسيا على حساب الدولة العثمانية، للمزيد ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 409.

[3]– عبد الرؤوف سنو، العلاقات الروسية العثمانية(1687م– 1878م)، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 79– 80، بيروت، 1985، ص 04.

[4]– عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996، ص 59.

[5]– عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ص 05.

2 – الثورات في منطقة البلقان:

اشتعلت الثورة في بلاد الهرسك عام 1876م بتحريض من سكان الجبل الأسود والصرب غير أن الثورة قد أخمدت من طرف الدولة العثمانية، وقام السلطان عبد الحميد الثاني[1] بمنع الدول الأوروبية من التدخل بإصدار قرار يفصل القضاء عن السلطة التنفيذية ويتيح تعيين القضاة بالانتخاب عن طريق الأهالي والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى[2].

كانت النمسا ترغب في ضم البوسنة والهرسك إلى أراضيها حيث عملت على تحريض السكان ضد الدولة العثمانية[3]، وطلبت كل من روسيا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا من السلطان القيام بإصلاحات متعددة ووافق عليها هذا الأخير في حين أن نصارى البوسنة لم يقبلوا بذلك، وهذا ما يدل على أن المطالبة بالإصلاحات ليست سوى مبررات للتدخل في شؤون الدولة بأي شكل من الأشكال لإضعافها والإطاحة بها[4]، كما قامت ثورة البلغار في نفس الوقت الذي قام فيه نصارى البوسنة والهرسك بثورتهم بدعم من الدول الأوروبية وخاصة روسيا[5]، وتأسست جمعيات في بلاد البلغار لنشر النفوذ الروسي وكانت تزودها هذه الأخيرة بالسلاح، وقد بذلت هذه الجمعيات جهدها لإثارة سكان الصرب والبوسنة والهرسك وتحريضهم على الثورة ضد العثمانيين[6]، وعندما أنزلت الدولة العثمانية بعض الأسر

---

[1] عبد الحميد الثاني: هو ابن السلطان عبد المجيد ولد في 21 سبتمبر1842م، حكم الدولة العثمانية ثلاث وثلاثون عاما وهو أعظم سلاطين بني عثمان في العصور المتأخرة امتاز بالتدين والتقى والشجاعة والحنكة السياسية، للمزيد ينظر: علي حسون، المرجع السابق، ص 241.

[2]– إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص188.

[3]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 230.

[4]– عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ص 07.

[5]– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 602.

[6]– وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان،2003، ص279.

الشركسية احتج البلغار على ذلك فقاموا بثورة عليها وقدمت لهم روسيا والنمسا مساعدات تمثلت في السلاح والأموال، إلا أن الدولة العثمانية تمكنت من القضاء على الثورة[1].

أخذت الدول الأوروبية تثير إشاعات عن المجازر التي ارتكبها العثمانيون ضد النصارى، وبهذه الإشاعات أثير الرأي العام الأوروبي ضد الدولة العثمانية وطالب الحكومات الأوروبية باتخاذ إجراءات ضد العثمانيين ومنها حصول البلغار على استقلال ذاتي وتعيين حاكم لهم[2]، وكذلك شجعت روسيا وألمانيا والنمسا الصرب والجبل الأسود للقيام بحرب ضد العثمانيين ووعدت هذه الدول أميري الصرب والجبل الأسود بتقديم المساعدة العسكرية[3]، حيث بدأت الجنود الروسية تتدفق سرا على بلاد الصرب والجبل الأسود، غير أن الدولة العثمانية تمكنت من الانتصار على الصرب وحلفائهم وتدخلت الدول الأوروبية وطلبت وقف القتال[4]، واجتمع واجتمع مندوبو الدول الأوربية في استانبول وقدموا اقتراحات للدولة العثمانية من أهمها تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين ويكون ولاتها من النصارى، وألا تحتل جنود الدولة العثمانية سوى القلاع وبعض المدن الكبرى وأن تتشكل الشرطة البلغارية من النصارى، وكما تمنح هذه الامتيازات لإمارتي البوسنة والهرسك وتتنازل الدولة على بعض الأراضي للصرب والجبل الأسود، لكن الدولة العثمانية رفضت هذه القرارات وعقدت صلحا منفردا مع الصرب وكان من نتيجته أنها سحبت جيوشها من بلاد الصرب[5].

---

[1]– جستن مكارثي، الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين(1821– 1922)، تر: فريد الغزي، جمعية أتراك السعودية، السعودية ،(د.ت)، ص 80.

[2]– وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 281.

[3]– أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، استانبول، 1999، ص 90.

[4]– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 606.

[5]– المرجع نفسه، ص ص 733– 734.

3 – الحرب الروسية العثمانية:

كانت روسيا ترغب في الوصول إلى المياه الدافئة بسبب عوامل دينية واقتصادية وجغرافية[1]، وقد نص بطرس الأكبر[2] في وصيته للروس في الفقرات التاسعة و الحادية عشر والثالثة عشر على ضرورة الصراع الحضاري ضد العثمانيين إلى أن تنتهي الدولة العثمانية من الوجود، ويقول بطرس الأكبر في الفقرة التاسعة من وصيته: (نقترب من القسطنطينية والهند بقدر الإمكان فمن يملك القسطنطينية فقد ملك العالم بناءا على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين)، وفي الفقرة الحادية عشر يقول:(نشارك النمسا فيما قصدناه من إخراج العثمانيين من أوروبا)، وفي الفقرة الثالثة عشر يقول:(وبعد التسلط على الممالك العثمانية نجمع جيوشنا وتدخل أساطيلنا بحر البلطيق والبحر الأسود ونشرع في التفاوض مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا)[3].

وقد اهتمت روسيا بتلك الوصية ففي عصر السلطان عبد الحميد الثاني كثرت الثورات بدعم من روسيا والدول الأوروبية في البلقان واليونان وغيرها من الأقاليم العثمانية، ولم تكتفي بذلك فقط بل عملت على قيام دول نصرانية مستقلة مثل رومانيا وبلغاريا والصرب واليونان، وبعد أن حقق العثمانيون انتصارات في البلقان استعدت روسيا للحرب ضد الدولة العثمانية للسيطرة على البحر الأسود[4]، وانضمت رومانيا إلى روسيا ودخل العثمانيون في حرب طاحنة مع الروس، وعبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب واستولت على بعض المدن

---

[1]– علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 410.

[2]– بطرس الأكبر: قيصر روسيا اعتلى العرش بحركة انقلابية، يعتبر من الشخصيات الرئيسية في التاريخ الروسي خاض حربا ناجحة ضد السويد، واهتم بتحديث البلاد والقوات المسلحة كما أدخل البلاد ضمن الدول الأوروبية الصناعية، للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة،ج1، مرجع سابق، ص 546.

[3]– إبراهيم حليم بك، المرجع السابق، ص 251.

[4]– Koulouri (Chirstina), The Balkan Wars, Teaching Modern Southeast European History Enc, 2nd ed, petros ballidis and co, Athens, 2009, p49.

التابعة للعثمانيين كما استولوا أيضا على بعض المعابر المؤدية إلى البلقان[1].

لقد قام السلطان عبد الحميد بتغيير كبير في قيادات الجيوش العثمانية لتصدي الغزو الروسي، في حين حاول الروس الاستيلاء على مدينة بلفنة الواقعة في بلغاريا والتي تعد من أهم المعابر البلقانية، غير أن القائد العثماني عثمان باشا تصدى لهم وردهم على أعقابهم منهزمين[2].

وقد حاولت روسيا التغيير من سياستها في الاستيلاء على هذه المدينة واتبعت سياسة الحصار فيها، ومنعت الإمدادات من الوصول إلى الجيوش العثمانية وفي نفس الوقت عززوا قواتهم وانظم أمير رومانيا إلى روسيا وكان معه 100 ألف مقاتل وهكذا أصبح التفوق العسكري لصالح الروس حيث تجاوز عددهم 150 ألف مقاتل، وفرضوا حصارا بثلاثة خطوط على القوات العثمانية[3]، مع هذا فإن العثمانيين المحاصرين قاموا بهجوم معاكس على خطوط العدو المحاصر لهم وتمكنوا من اختراق الخطين الأول والثاني واستولوا على المدافع فيها وأصيب القائد عثمان باشا ببعض الجروح عند الخط الثالث، وظهرت إشاعة بين جنده باستشهاده فأثر ذلك فيهم وحاولوا الرجوع إلى المدينة[4]، وبهذا أصبح الجند العثمانيون بين نيران العدو المختلفة فاضطروا إلى الاستسلام للقوات الروسية وكان ذلك أواخر سنة 1877م، وقد سلم القائد العثماني نفسه إلى الروس وهو جريح[5].

وشجعت تلك الانتصارات الروسية الصرب في البلقان على التحرك ضد العثمانيين وقامت جيوشهم بالهجوم على المواقع العثمانية هناك، وأشغلهم هذا عن الروس الذين كانوا يسعون إلى احتلال مناطق جديدة، وبالفعل تمكن الروس من الاستيلاء على صوفيا ولم يكتفوا بهذا

---

[1]– علي محمد محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، بيروت،2012، ص 24.

[2]– علي حسون، المرجع السابق، ص 241.

[3]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 236.

[4]– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 593.

[5]– إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 190.

بل توجهوا جنوبا إلى العاصمة العثمانية القديمة[1]، وفي نفس الوقت جرت العديد من المعارك بين روسيا والدولة العثمانية حيث وصل الروس إلى الأناضول واستولوا على بعض المناطق منها[2].

وأمام تلك الهزائم التي عرفها العثمانيون في أوروبا وفي آسيا اضطرت الدولة العثمانية للدخول في هدنة مع الروس وقبول المفاوضات معهم ووقعت بين الطرفين معاهدة سان ستيفانو عام 1878م، ومن أهم بنودها [3]:

1 – تعيين حدود الجبل الأسود لإنهاء النزاع وحصول هذه الإمارة على الاستقلال.

2 – تستقل إمارة الصرب وتضاف إليها أرض جديدة.

3 – تستقل بلغاريا استقلالا ذاتيا إداريا وتدفع مبلغا محددا للدولة.

4 – تحصل دولة رومانيا على استقلالها التام.

4 – نشاط الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في ولايات البلقان:

تعددت نشاطات الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية في ولاياتها البلقانية لأنها أصبحت خطرا يهدد مصالحها من الشرق، وضلت المسألة الشرقية عند الساسة الأوروبيين هي إزالة هذه الدولة من القارة الأوروبية، وقد بدأت هذه المسألة منذ الفترة التي فتح فيها العثمانيون أجزاء كبيرة من قارة أوروبا حيث أصبحت أماني الدول الأوروبية بأكملها هي إبعاد العثمانيين عن القارة الأوروبية وإزالة أثارها منها[4].

انعقد في الأستانة[5] (1876– 1877) مؤتمر سفراء الدول الأوروبية لإعداد منهج الإصلاحات الواجب على الدولة العثمانية اتخاذها في شبه جزيرة البلقان، ورغم صدور

---

[1]– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق ص600.

[2]– إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 190.

[3]– محمد محمد قاروط، مرجع سابق، ص 281.

[4]– إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 195.

[5]– الأستانة: الاسم القديم لإستانبول ويعني عتبة الباب والمركز والتكية الكبيرة، للمزيد ينظر: سهيل صبان، المرجع السابق، ص15.

قرارات عن المؤتمر إلا أن السلطان العثماني رفض تلك القرارات والمطالب التي حاول السفراء أن يملوها على الدولة العثمانية[1]، ونتيجة لذلك قامت دول أوروبا بزرع مشكلات قومية في شبه جزيرة البلقان لفصلها عن الدولة العثمانية[2]، فروسيا التي دعمت الروح القومية السلافية لعبت دورا كبيرا في منح الاستقلال لبلغاريا من خلال الاتفاق مع النمسا على إرسال جيش مختلط لتأييد بلغاريا إن قامت بمحاربة الدولة العثمانية[3]، وحين وضعت الحرب أوزارها التقى مندوبو الدولة العثمانية ومندوبو روسيا في بلدة سان استيفانوس وتقدم المندوب الروسي بشروط مسبقة وطلب التوقيع عليها مباشرة وإلا تتقدم الجيوش الروسية وتحتل العاصمة العثمانية إستانبول، ولم يكن للعثمانيين خيار سوى التوقيع على الشروط الروسية[4].

ومن أهم بنود معاهدة سان استيفانو الموقعة في 02 مارس 1878م بين الدولتين إقامة مملكة بلغاريا وتوسيع رقعتها لتمتد من البحر الأسود حتى بحر إيجة ومنحها استقلالا تاما، كما منحت المعاهدة الاستقلال لكل من إمارة الصرب والجبل الأسود ورومانيا، ومن بنودها أيضا أن تبقى مضايق البسفور والدردنيل مفتوحة للسفن الروسية في السلم والحرب[5]، غير أن هذه المعاهدة لم تطبق لاختلاف البلقانيين على تقاسم الأراضي مما أدى بالدول الأوروبية إلى تعديلها وفق مؤتمر برلين بتخفيض بعض بنود معاهدة سان استيفانو وذلك بتقليص الأراضي المعطاة لبلغاريا واعتبارها تابعة للدولة العثمانية[6]، وقد ازداد قلق الدول الأوروبية بعد انتصار الدولة العثمانية في حربها مع اليونان سنة 1897م حين تدخلت في شؤون

---

[1]– محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 615.

[2]– علي حسون، المرجع السابق، ص263.

[3]– عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ص 12.

[4]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 281.

[5]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 244.

[6]– نور الدين حاطوم، تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم، ج2، دار الفكر، دمشق، 1995، ص ص 332–333.

الدول وولاياتها البلقانية وأعطت لجزيرة كريت[1] الاستقلال ومنحتها حكما ذاتيا تحت زعامة أمير يوناني[2].

كانت حكومة النمسا ترغب في تحقيق التوسع على حساب الأراضي العثمانية في الولايات البلقانية، وقد سمحت لها الفرصة بذلك عند إعلان الدستور سنة 1908م لتستغل التطورات الداخلية في الدولة وتعلن ضم البوسنة والهرسك إلى أملاكها، كما أن النمسا ضمنت مساندة روسيا لها مقابل عدم المعارضة لفتح المضيقين في وجه السفن الحربية الروسية[3].

لقد واجهت الدولة العثمانية في ولاياتها الأوروبية مصاعب كثيرة لم تنحصر في الثورات والقلاقل التي كان يقوم بها البلقانيون وإنما أصبح التدخل الأوروبي في ولاياتها البلقانية يمثل عبئا آخر يضاف إلى تلك المصاعب التي واجهتها الدولة، وهكذا لعب التدخل الأوروبي في الولايات البلقانية دورا مؤثرا ساهم في اشتعال نار الحرب البلقانية الأولى والتي كانت نتائجها جد خطيرة على الدولة العثمانية.

---

[1]– كريت: جزيرة بالبحر المتوسط، من الجزر اليونانية استولت عليها الدولة العثمانية في القرن السابع عشر، واستقلت عنها سنة 1898م وألحقت باليونان سنة 1918م، للمزيد ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص 462.

[2]– إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 194.

[3]– نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 336.

1 – حرب البلقان الأولى:

قامت الحرب البلقانية الأولى بين الدولة العثمانية والدول البلقانية الأربعة بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود[1]، والتي انتهت بمعاهدة لندن سنة 1913م وبالاعتراف للبلقانيين بقوميتهم كما دلت على هزيمة الدولة العثمانية وفجرت الروح القومية التركية[2].

وكان مؤتمر برلين 13 جويلية 1878م يشكل المنعطف الأول والخطير في علاقات البلقانيين مع الدولة العثمانية فقد ترك الخلل السياسي وفتح الأبواب للدولة البلقانية لتزداد طمعا في التوسع والاستقلال[3]، ورغم أن سكان البلقان كانوا منقسمين إلى شعوب وقوميات متعددة ويختلفون عن بعضهم البعض في اللغة والتاريخ، إلا أن الحقد الصليبي وحد بينهم في عدائهم للدولة العثمانية حتى صار غرس هذا العداء واجبا من واجبات التربية للأبناء وعلامة من علامات الوطنية والانتماء، وكانت الدول الأوروبية تشجع هذا الحقد والعداء خاصة عند البلغاريين واليونانيين وكذلك الصربيين وأهل الجبل الأسود، ومن الأسباب التي أدت إلى الحرب أيضا طمع كل دولة من أعداء تركيا في أراضيها لاسترجاع مجدها القديم[4]، غير أن علاقات الدول البلقانية مع الدولة العثمانية كانت في تلك الفترة متوترة خاصة علاقات بلغاريا مع الدولة العثمانية نتيجة لسياسة نزع السلاح من المقدونيين إلا أن علاقات

---

[1]– عبد الحميد زوزو، تاريخ أوروبا والولايات المتحدة 1914– 1945، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 28.

[2]– عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، حوريس للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص 433.

[3]– عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ت)، ص 369.

[4]– يوسف البستاني، تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والإتحاد البلقاني المؤلف من البلغار والصرب واليونان والجبل الأسود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 25.

رومانيا والصرب مع العثمانيين جيدة في حين كانت هناك تهديدات وإزعاج في علاقات اليونان مع العثمانيين[1].

إن شخصية رئيس الوزراء اليوناني كانت ذات أثر فعال في دفع الحكومات البلقانية إلى تكوين تحالف دفاعي ضد الدولة العثمانية والدفاع عن المسيحيين في البلقان، وقدم أول عرض له بقيام تحالف بين بلغاريا واليونان سنة 1911م إلا أن الشك وعدم الثقة من جانب البلغاريين أخر هذا التحالف، أما إمارة الجبل الأسود التي عرفت توتر في العلاقات السياسية بينها وبين الباب العالي فقد كانت خطتها تهدف إلى إشراك كل البلقانيين في ذلك الحلف[2]، ورغم جهود اليونان التي بذلتها للتأليف بين الدول البلقانية إلا أن التشجيع الروسي لكل من الصرب وبلغاريا دفعها لتوقيع معاهدة تضمن تعاونهما المشترك، وساعد هذا التشجيع الروسي على قيام تحالف صربي بلغاري ووقعت معاهدة بين الدولتين في 13 مارس 1912م من أهم بنودها: أنه في حالة حدوث أي اضطرابات داخلية في تركيا مما يعرض مصالح الدولتين للخطر يجب أن تسارع إلى تبادل الآراء لاتخاذ الخطوات اللازمة لمنع الخطر، كما أن الطرفين اتفقا على تقسيم مقدونيا إلى منطقتين صربية وبلغارية[3].

أما إمارة الجبل الأسود فحاولت أن تنظم إلى هذه التحالفات وقامت بالاتصال بتلك الدول لتنتهي بعقد معاهدات تحالف مع الجبل الأسود من جهة وبلغاريا والصرب من جهة أخرى في أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر 1912م، ليكتمل بهذا كامل نظام التحالف البلقاني ضد الدولة العثمانية[4].

---

[1]– وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 322.

[2]– أ.ج. جرانت وهارولد تمبرلى، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789– 1950م، تر: محمد أبو دره، سجل العرب، القاهرة، 1978، ص 146.

[3]– فرغلي علي تنس، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001، ص 155.

[4]– نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 379.

لقد كانت أوضاع الدولة السياسية والعسكرية في حالة من التفكك والضعف وتلاهي الجيش بالسياسة فلم تعد معنوياته وقواته كما كانت في السابق، أما الوضع السياسي في الحكومة العثمانية فكان سيئ بكثير وتمثل في الصراع بين حزب الحرية وجمعية الاتحاد والترقي الطامعة في العودة إلى الحكم[1]، فأخذ التوتر يسود منطقة البلقان وقامت كل من بلغاريا والصرب بتعبئة جيوشها، ثم قدمت الحكومات البلقانية إلى الحكومة العثمانية مذكرة على شكل إنذار وقد تضمنت هذه المذكرة إجراء الإصلاحات في الولايات البلقانية بالاتفاق مع الدول الأوروبية، وطالب البلقانيون في المذكرة بمنح الاستقلال الإداري للولايات البلقانية وإعادة رسم حدودها، وتعيين حكام لهذه الولايات من البلجيكيين والسويسريين كما طالبت بحرية التعليم على أن تتم هذه الإصلاحات تحت مراقبة سفراء حكومات البلقان الأربع بالأستانة[2].

قامت حكومة الجيل الأسود في 08 أكتوبر 1912م بإعلان الحرب على الدولة العثمانية وفي 18 نوفمبر أعلنت بلغاريا والصرب واليونان الحرب على الدولة العثمانية، ليكتمل بذلك عقد الدول البلقانية المتحالفة على الحرب ضد الدولة العثمانية[3]، وظهرت في هذه الحرب روح الحقد والكراهية ضد المسلمين من خلال المنشورات التي بدأت تظهر من الحكومات البلقانية والتي سموا فيها هذه الحرب بالحرب الصليبية[4]، ويرى أحد المؤرخين أن الجيش العثماني الذي كان يخوض الحرب ضد الحلفاء البلقانيين قد ضم كثيرا من الجنود ذوي الأصول البلغارية والصربية واليونانية[5].

---

[1]– أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص 131.

[2]– يوسف البستاني، المرجع السابق، ص ص 62– 64.

3 - Michael H.Clemmesen, Not Just a Prelude, The First Balkan War Crisis as The Catalyst of Final European War Preparations, Contribution form The October 2012 Istanbul Conference–and anthology, P 03.

[4]– علي حسون، المرجع السابق، ص 258.

[5]– يوسف البستاني، المرجع السابق، ص 75.

اشتعلت نار حرب البلقان الأولى وسارت أحداث معاركها ضد الدولة العثمانية و كان النصر حليف البلقانيين الذين استخدموا الطائرات لأول مرة بمساعدة من الدول الأوروبية، وفي أقل من شهرين حقق البلقانيون انتصارات حاسمة وبذلك فقدت الدولة العثمانية سيطرتها على معظم أراضيها في أوروبا[1]، (ينظر الملحق رقم 02).

سارعت الدول الأوروبية بإرسال قطع من أساطيلها بناءًا على طلب من سفراء تلك الدول في عاصمة الدولة العثمانية، وحين أدرك الصدر الأعظم صعوبة الموقف جمع مجلس وكلاء الدولة وقررت بطلب من أوروبا إيقاف الحرب التي وصلت إلى القسطنطينية، بينما كان رجال السياسة في أوروبا يبحثون في كيفية التوصل إلى وقف هذه الحرب دون أن تتأثر مصالحهم الإستراتيجية والاقتصادية[2].

وفي 03 ديسمبر 1912م وقعت اتفاقية على أن تتبعها مفاوضات للصلح بين الدولة العثمانية وكل من بلغاريا والصرب والجبل الأسود ونصت هذه الاتفاقية على أن تجرى مفاوضات الصلح في لندن بعد توقيع الهدنة بعشرة أيام، إلا أن اليونان غابت عن هذه الهدنة لأمرين: الأول هو الأمل لدى القادة اليونانيين في سقوط مدينة يانينا[3] والثاني تمكين الأسطول اليوناني من محاصرة بحر إيجة.

عينت الحكومة العثمانية وحكومات البلقان مندوبيها لحضور مؤتمر الصلح الذي افتتح في قصر سانت جيمس في لندن يوم 16 ديسمبر 1912م وبحضور اليونان رغم عدم توقيعها على الهدنة[4]، كان العثمانيون يصرون على الاحتفاظ بالمدن التي بقيت تحت

[1]– علي حسون، المرجع السابق، ص 233.

[2]– يوسف البستاني، المرجع السابق، ص 108.

[3]– يانينا: مدينة تقع اليوم في مقدونيا، للمزيد ينظر: علي حسون، المرجع السابق، ص 130.

[4]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص ص 299– 300.

سيطرتهم والتي من أهمها أدرنة ويانينا، في حين كان البلقانيون يطالبون بانسحاب القوات العثمانية من هذه المدن وتسليمها للحلفاء البلقانيين[1].

أرسلت الدول الأوروبية مذكرة إلى الباب العالي يطالبون فيها بالتنازل عن مدينة أدرنة للدول البلقانية، مما أدى بالصدر الأعظم إلى جمع أعضاء الديوان للنظر في هذه المذكرة وعقد الصلح مع الدول البلقانية، وفي هذه الفترة جرت صراعات سياسية داخل الدولة العثمانية نتج عنها تشكيل حكومة اتحادية جديدة برئاسة محمود شوكت باشا، وقد سارعت الوزارة الجديدة بإرسال الرد على مذكرة الدول الأوروبية مشيرة إلى أن حكومة الباب العالي ترغب في السلام، وارتأت في مذكرتها أن تقسم أدرنة إلى قسمين وتحتفظ بالجهات التي تحتوي على أثار وأماكن إسلامية وأصرت أيضا على المحافظة على بحر إيجة لأهميته الحربية[2]، إلا أن هذا الرد أعطى الفرصة للدول البلقانية لتقطع المفاوضات وتستأنف الحرب[3] فتجدد القتال على جميع الجبهات وسقطت المواقع العثمانية المحصنة ولم تستطع الحكومة الجديدة أن تتدارك الموقف، حيث سقطت يانينا في يد اليونانيين ثم سقطت أدرنة في يد البلغاريين واستطاع الجبل الأسود أن يسيطر على سكوتاري[4].

قامت الوزارة الخارجية للحكومة العثمانية بإبلاغ السفير البريطاني في الأستانة برغبتها في السلام وتأييدها للجهود التي تبذلها الدول الأوروبية لوضع نهاية لهذه الحرب، وتم التوصل إلى عقد هدنة بين العثمانيين والتحالف البلقاني بعد أن وافقت الأطراف المتنازعة على القواعد التمهيدية لعقد الصلح والمتمثلة في أن يكون خط التحديد بين الدولة العثمانية وبلغاريا ممتدًا من أنيوس على بحر إيجة إلى ميديا على البحر الأسود وأن يمنح الاستقلال

[1]– علي حسون، المرجع السابق، ص 235.

[2]– وديع أبو زيدون، المرجع السابق، ص 324.

[3]– فرغلي علي تنس، المرجع السابق، ص 156.

[4]– جستن مكارثي، المرجع السابق، ص 154.

لألبانيا، كما تقرر في مؤتمر سفراء الدول الأوروبية أن يفوض أمر الجزر في بحر إيجة للدول الأوروبية وعلى أن تتنازل الدولة العثمانية عن كامل حقوقها في جزيرة كريت[1].

تم استئناف مفاوضات الصلح في لندن وتوقيع معاهدة السلام بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية الأربعة في 30 ماي 1913م والتي أشارت إلى رغبة كلا الجانبين في إنهاء الحرب وإقامة علاقات تتصف بالسلام والصداقة بين حكوماتهم[2]، وهكذا فقدت الدولة العثمانية بموجب تلك المعاهدة كافة ممتلكاتها الأوروبية باستثناء العاصمة القسطنطينية وشريط ضيق يمتد من العاصمة إلى خط سير أنيوس على بحر إيجة إلى ميديا على البحر الأسود[3].

2 – الحرب البلقانية الثانية:

لقد تحققت أهداف البلقانيين في معاهدة لندن التي أنهت الحكم العثماني في أوروبا وأعطت الاستقلال للدويلات البلقانية، كما كان للمعاهدة دور كبير في تقسيم الأراضي التي انتزعت من الدولة العثمانية أثناء حرب البلقان الأولى[4]، إلا أنه سرعان ما نشب الخلاف بين البلقانيين وظهرت النزاعات بينهم حول تقسيم غنائم الحرب، فسارعت اليونان والصرب إلى إبرام تحالف بينهما واقترحا على رومانيا الدخول معهما أما حكومة الجبل الأسود فقد أكدت أنها ستنضم إلى جانب الصرب واليونان في حالة قيام حرب بينهما وبين بلغاريا انطلاقا من المعاهدة السابقة مع الصرب[5].

وقد عم الخوف والفزع العواصم الأوروبية عندما رأت أن الحلفاء البلقانيين أصبحوا أعداء لبعضهم البعض وأن الحرب ستقع بينهم في أقرب وقت، وفي 29 جوان 1913م شنت

[1]– يوسف البستاني، المرجع السابق، ص 238.

[2]– إسماعيل نوري الربيعي، تاريخ أوروبا السياسي المعاصر، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 44.

[3]– علي حسون، المرجع السابق، ص 250.

[4]– أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ص ص 132– 133.

[5]– يوسف البستاني، المرجع السابق، ص 296.

بلغاريا الحرب على اليونانيين وهذا ما أدى إلى تدخل الصرب مع اليونان بحكم الحلف بينهما وقامتا بشن حملات على الجيوش البلغارية، في هذه الأوضاع استغلت الحكومة العثمانية الفرصة وهاجمت أدرنة واستردتها من الجيش البلغاري أما رومانيا فأعلنت الحرب إلى جانب اليونان والصرب، وهكذا وجدت بلغاريا نفسها تقف وحيدة في وجه حلفائها إضافة إلى الدولة العثمانية ورومانيا[1].

واستمر القتال أكثر من ثلاثين يوما تكبدت فيه الجيوش البلغارية هزائم كبيرة وخسائر فادحة في العتاد والأرواح مما أدى بها إلى طلب المساعدة من الدول الأوروبية[2]، وعندما تجاوز الجيش العثماني خط أنيوس ميديا واستعاد مدينة أدرنة تغيرت مواقف أوروبا من تلك الحرب رغم إدراكها أن بلغاريا هي العنصر الذي أحدث الارتباك بين المتحاربين وهي أول من تنكر على المعاهدة[3]، وقد ألمح وزير خارجية بريطانيا إلى ذلك الموقف الأوروبي الذي يحتم على الدولة العثمانية البقاء محصورة داخل مجال مقررات معاهدة لندن والتي مزقها الحلفاء البلقانيون قبل الدولة العثمانية، وهو ما حاول أن يشير إليه السفير العثماني في لندن في رسالته التي أكد فيها على تصميم حكومته في المحافظة على عاصمة الدولة وحدودها.

عقدت هدنة في نهاية جويلية 1913م على إجراء مفاوضات صلح بين كل من بلغاريا من جهة ورومانيا واليونان والصرب من جهة أخرى، وبدأت أعمال مؤتمر الصلح في عاصمة رومانيا في 10 أوت 1913م وتم توقيع معاهدة بوخارست منهية بذلك حرب البلقان، وتضمنت هذه المعاهدة عشرة مواد أرغمت بلغاريا بموجبها على التنازل عن الكثير

[1]– عبد العزيز سليمان النوار ومحمود محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 440.

[2]– ثريا شاهين، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، تر: محمد حرب، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، 1997، ص 84.

[3]– فرغلي علي تنس، المرجع السابق، ص 158.

من مكتسباتها في الحرب البلقانية الأولى، ووضعت حدودًا جديدة بينها وبين الدول البلقانية الأخرى المنتصرة في هذه الحرب[1].

خلقت هذه المعاهدة مشكل جديد لأوروبا وزادت من توتر الأوضاع فيها حيث راح كل طرف يسعى إلى تعديل بنودها وفقًا لمصالحه الخاصة، فسلبت من بلغاريا ما كانت تعتقد أنه يخصها وقلصت أملاك الدولة العثمانية في أوروبا وزادت مكتسبات الدول البلقانية المنتصرة في الحرب[2].

3 – نتائج الحروب البلقانية:

لقد أظهرت حروب البلقان مطامع الدول الأوروبية في أملاك الدولة العثمانية ومواقفها الذاتية التي تسعى من خلالها إلى تحقيق مصالحها الإستراتيجية والسياسية على حساب الدولة العثمانية، وكما أعطت هذه الحروب الفرصة للدول الأوروبية للتدخل في شؤون الدولة الداخلية والخارجية حيث قامت بفصل الولايات الأوروبية عنها وقضت على اتجاه العثمنة والجامعة الإسلامية في أواسط الحكومة العثمانية[3].

كانت نتائج حروب البلقان كارثة كبرى حلت بالدولة العثمانية حيث فقدت فيها الجزء الأكبر من ممتلكاتها الأوروبية إذ سلبت منها كل من قوصوه ويانينا ومناستير وسالونيك وأشقودره، واقتصرت أملاكها الأوروبية على منطقة صغيرة حول العاصمة إستانبول، لتصبح بهذا الدولة العثمانية الخاسر الأكبر في حروب البلقان التي أفقدتها 83٪ من الأراضي

[1]– نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 381.

[2]– فرغلي علي تنس، المرجع السابق، ص 155.

[3]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 280.

و69٪ من السكان في الولايات الأوروبية[1]، ولم يبقي لها في آسيا إلا الأناضول وبلاد الشام والعراق والحجاز مع اعتراف اسمي بسيادتها على جنوب وشرق الجزيرة العربية[2].

وبعد نهاية الحرب البلقانية الثانية في أواخر سنة 1913م ما كادت الدول المنهزمة وعلى رأسها الدولة العثمانية وبلغاريا تلتقط أنفاسها حتى بدأت الحرب العالمية الأولى.

[1]– علي حسوني، المرجع السابق، ص 261.

[2]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 308.

1 – خسائر الدولة العثمانية في أوروبا:

انقلبت الدولة العثمانية من مصاف الدول العظمى المتبوعة حضاريا إلى مصاف الدول التابعة وقد انهارت فيها دعائم المقاومة للتحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها وكانت من أهم نتائج هذا الانهيار لجوء الدولة للتفاهم مع القوى الصليبية باسم السياسة، حيث ظهر استعدادها للتفاوض من أجل الحفاظ على ما تبقى تحت يدها من أراضي وسعيا لتحقيق أي نصر بأقل خسائر ممكنة.

ومن يطلع على التاريخ العثماني في القرن التاسع عشر خاصة في نصفه الثاني يرى أن المعاهدات كثيرة كمعاهدة لندن ومعاهدة باريس ومعاهدة سان استيفانوس ومعاهدة برلين وغيرها من أنواع الاتفاقيات والمعاهدات التي نادت الدول الأوروبية لإبرامها مع الدولة العثمانية، وعندما نبحث عن الأسباب نجد أن الساسة الأوروبيين كانوا يعملون على خلق الأسباب لتقييد الدولة التي كانت تعتبر حامية للإسلام والمسلمين[1].

أما إذا نظرنا في مضمون تلك المعاهدات والاتفاقيات التي أرغمت الدولة العثمانية على توقيعها نلاحظ أنه يغلب عليها طابع الحقد ضد الدولة لأنها رفعت راية الإسلام على أرض أوروبا لذا فالهدف من هذه المعاهدات هو كسر الدولة الإسلامية ومحاصرة أهلها المسلمين[2]، فقد كانت خسائر الدولة العثمانية في أوروبا بعد حروب البلقان كبيرة جدا حيث فقدت الجزء الأكبر من ممتلكاتها الأوروبية وانتزعت منها الولايات الخمسة التي لها أهمية كبيرة بالنسبة للدولة العثمانية فهي تعد مملكة واسعة لأنها كانت مطمح أنظار الفاتحين من السلاطين، وهذه الولايات هي ولاية سالونيك التي تبلغ مساحتها خمسون ألف كيلومتر مربع اشتهرت

[1]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 288.

[2]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 290.

بزراعة التبغ والأرز والقطن ويعد مركزها من أفضل المراكز البحرية[1]، وولاية مناستير التي تبلغ مساحتها 27300 كم2 وهي مدينة تجارية توجد بها مصانع للأسلحة ومن أهم المواقع الحربية المهمة لأنها ملتقى العديد من الطرق وكذلك ولاية قوصوه المقدرة بمساحة 27561 كم2 ذات الشهرة الكبيرة في تاريخ الصرب لأنهم قهروا من طرف الأتراك فيها سنة 1389م[2].

وكذلك ولاية أدرنة التي تعد من أهم الولايات التي خسرتها الدولة العثمانية فقد بقيت عاصمة للسلطنة مدة سبيعين سنة، وتبلغ مساحتها 414.7 كم2 بالإضافة إلى ولاية أشقودره البالغة مساحتها 10700 كم2، والتي فتحها الأتراك سنة 1477م وبقيت في عهدتهم إلى غاية خسارتها في الحروب البلقانية(ينظر الملحق رقم03)، أما من الناحية السكانية فقد فقدت الدولة العثمانية نتيجة للحروب البلقانية ما يقارب 4239200 نسمة في حين لم يبقى لها سوى 1.882 ميلا مربعا[3].

إن انهزام الدولة العثمانية في حروب البلقان وتزايد النفوذ الخارجي أدى إلى تحول الامتيازات التقليدية الممنوحة للدول الأوروبية من مفهوم الصداقة والتعاون إلى نوع من الحقوق التاريخية المكتسبة التي لا يمكن التنازل عنها، كما أدت تداعيات الأوضاع في البلقان وتوسع النمسا وروسيا على حساب الدولة العثمانية بالفرنسيين والإنجليز إلى تغير سياستهم مع الدولة العثمانية والعمل للحصول على المزيد من المكاسب.

---

[1]– يوسف البستاني، المرجع السابق، ص229.

[2]– المرجع نفسه، ص 231.

[3]– نفسه، ص 232.

2 – وضعية المسلمين في إقليم البلقان:

لم تكن الطائفة الإسلامية في الروملي الشرقية تتمتع بالقوة والانسجام نظرا للتشتت العرقي، وذلك لانعدام التنظيم أولا وغياب القوانين الأساسية لضبط العلاقة بين أفراد الطائفة الإسلامية وبين مجموعاتها[1].

كانت وضعية المسلمين مأساوية لأن عددهم زاد عن المليونين شخص أي أنهم يشكلون حوالي 22٪ من مجموع السكان البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة، حيث تكاثرت نسبة المسلمين أكثر من غيرهم ما جعلهم هذا يقعون ضحية اضطهاد كبير ومسح لهويتهم الإسلامية وتدميرهم إما بالتهجير أو بالتنصير أو بتكفيرهم بدينهم[2]، ولقد استمرت عمليات الإبادة لمسلمي البلقان فقد جاء في صحيفة مجرية اسمها " أناب " بتاريخ 07 فيفري 1913م أنه أبيد في مقدونيا نحو 60 ألف ألباني و40 ألف تركي مسلم كما قتل في تراقيا الغربية والشرقية ما يقارب هذه الأرقام من الأتراك المسلمين لأن القوات البلغارية اجتازت المناطق التي تكثر فيها الكثافة السكانية من المسلمين، وهذا ما جعل مسلمي تراقيا ومقدونيا يضطرون للنزوح عن أراضيهم للتخلص من عمليات القتل والإبادة[3].

واستمرت عمليات الهجرة من الأراضي البلقانية إلى تركيا في العهد الجمهوري أيضا حيث وقعت اتفاقية لأول مرة يوم 18 أكتوبر 1925م في أنقرة باسم اتفاقية الإقامة، وتعهدت الحكومة البلغارية بموجبها عدم ممانعة الأتراك الراغبين بالهجرة إلى تركيا والسماح لهم بأخذ أموالهم وبيع ممتلكاتهم بحرية، وقد ضن المسلمون أن هذه الاتفاقية ستبعد عنهم الظلم والاعتداء وأنهم سيتصرفون بحرية واطمئنان لكن هذا الأمر لم يكن كذلك فاستمرت

---

[1]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 294.

[2]– عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 146.

[3]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 349.

الاعتداءات عليهم من قبل اللجان الثورية بشتى أنواع الظلم، مما جعل هذا الأمر الهجرة من بلغاريا إلى تركيا تبقى مستمرة دون انقطاع[1].

إضافة إلى ذلك فقد قامت احتجاجات من طرف المسلمين ضد سياسة تذويب الشخصية الإسلامية والتي بدأت بإضراب أربعة أشخاص عن الطعام ثم تصاعدت حملت الاحتجاجات لتشمل منطقة هاسكوفو وانظم إليهم المئات من المسلمين وأخذت الاحتجاجات منعطفا جديدا حين بدأ المضربون ينظمون تظاهرات ومسيرات في الشوارع، وقد وجد المتظاهرون أنفسهم أمام أسلحت الجنود ودباباتهم هذا الأمر الذي أنذر بحدوث مجزرة في حق المسلمين، زيادة على هذا أصدرت الحكومات البلقانية قوانين لا تسمح للنساء المسلمات ركوب وسائل النقل العامة أو الدخول إلى الأسواق والدوائر الحكومية بأزيائهن المحتشمة، ومنعت كذلك السلطات الختان للأولاد ومنعت فريضة الصيام، كما أجبرت المسلمين دفن موتاهم في التوابيت[2]، كان طرد المسلمين من أوروبا هو الحلم الأوربي وتطهيرها منهم هي الفكرة لأعظم شخصية من شخصيات التنوير" فولتير" حين كان يلح على تدمير المسلمين وطردهم من أوروبا نهائيا[3].

3 – التمزق الداخلي في الدولة العثمانية:

إن الأوضاع التي كانت تعيشها الدولة العثمانية والأخطار التي تهدد المشرق العربي العثماني أدت إلى رد فعل واضح لدى العرب تمثل في إصلاح الولايات التي تخضع للدولة العثمانية، وظهر ذلك في مظاهر عديدة من أبرزها جمعية بيروت الإصلاحية التي حملت لائحات تطالب من خلالها القيام بإصلاحات والجمعية العربية الفتاة ونشاطها السياسي في باريس الذي تمخض عنه المؤتمر العربي الأول في العاصمة الفرنسية إضافة إلى حركة

---

[1]– محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 350.

[2]– المرجع نفسه، ص ص 388– 389.

[3]– نفسه، ص 81.

البصرة الإصلاحية، جميع هذه التنظيمات تعتبر ردود الفعل المباشرة لحروب البلقان في المشرق العربي العثماني لتكون في نهاية الأمر عاملا من عوامل التمزق الداخلي في الدولة العثمانية التي أدت إلى ظهور الأنشطة المناوئة لها والتي من أبرزها نمو القومية العربية والتركية، هذا النمو لهاتين القوميتين جاء في وقت متزامن مما زاد من شدة التصادم والصراع بينهما[1].

وكلمة القومية تعبير غربي تلقته شعوب المشرق الإسلامي من أوروبا، ويقصد بكلمة "Nationality " في اللغة الإنجليزية القطر أو الدولة التي ينتمي إليها الفرد أو المواطن، ويرى أحد المؤرخين العرب أن معنى كلمة القومية " Nationalism " في المصطلح الفرنسي على أنها مذهب من مذاهب السياسية التي تعبر عن حب الأمة التي ينتمي إليها الإنسان[2].

أما في المجتمع الإسلامي فالمسلم أخو المسلم مهما كانت لغته وأصله وبلاده، فلم تكن فكرة القومية العلمانية الموجودة في أوروبا ذات أثر في الفكر السياسي داخل الدولة العثمانية[3]، إلى غاية أن أظهرت أحداث البلقان الفكر القومي الذي كان له صدى في محاولة تنمية فكر الوجدان القومي عند العرب والأتراك بمحاكاة للحركات القومية في أوروبا، ولقد كان السلطان العثماني عبد الحميد مدركا للأخطار القومية في الدولة العثمانية لذا كان التزامه بالرابطة الإسلامية علاجا لهذا الخطر الذي يهدد كيان الدولة[4]، وبدأت فكرة القومية العربية عند العرب المسيحيين على قاعدة أن جميع الشعوب التي تتكلم العربية أمة واحدة،

---

[1]– محمد عبد الله عوده وإبراهيم ياسين الخطيب، المرجع السابق، ص 154.

[2]– نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية، ج1، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، 1997، ص ص 31– 32.

[3]– سليمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 2002، ص ص 60– 63.

[4]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 253.

وذلك لإدراكهم أنه ليست هناك أي صلة تربط بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب سوى العروبة، فالعروبة عندهم هي العقد الذي يؤلفهم مع المسلمين العرب لأنه ليس لهم صلة دينية أو صلة قومية تصلهم بالدولة العثمانية، وهذا الأمر الذي جعل البعض منهم يتطلع إلى الانفصال عن الدولة الإسلامية بمساعدة الدول الأوروبية لطرد العثمانيين[1].

كما ظل التصادم بين القوميتين العربية والتركية هو محور الأحداث التاريخية، وقد دفعت حروب البلقان ونتائجها بالقوميتين إلى الصراع والصدام السريع لتصبح القومية من أشد الأخطار التي زادت في التمزق الداخلي للدولة العثمانية، وزادت الحرب من انتشار تلك القوميات واحتكاكها مع بعضها البعض بعد شعور كل من الترك والعرب بتفاقم الخطر الأجنبي في بلادهم، وهذا ما عبر عنه رجل الحكومة الاتحادية جمال باشا حين قال في إحدى اجتماعاته بأهالي سوريا بعد أن أصبح حاكما لها " أن حركة القومية التركية قد أنشأت خوفا على الشعب التركي أن يتلاشى نهائيا "[2].

كان التصادم بين القوميتين التركية والعربية عنيفا حيث أدى إلى قطع الطريق على دعاة الإصلاح ودعاة الوفاق وأدخل الدولة العثمانية في حالة من التشتت، فالعرب لم ترفعهم القومية العربية وإنما أعزهم الإسلام الذي نشر في مشارق الأرض ومغاربها، كما أنه بدون الإسلام لم يكن للترك أي ولاء من أقطارها الإسلامية، وقد أثبت التاريخ صحة ذلك فلم يستفد العرب من دعوة القومية التي سهلت الطريق للتدخل الأجنبي في أوطانهم كما لم يستفد الترك من قوميتهم التي قضت على الدولة العثمانية، ولتصبح هاتين القوميتين عنصرا فعالا في التطورات التاريخية[3].

---

[1]– عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، المرجع السابق، ص 223.

[2]– رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1996، ص14.

[3]– سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص 60.

في الأخير يمكننا أن نتوصل من خلال دراستنا هذه إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن إجمالها في النقاط التالية:

– اعتمدت الدولة العثمانية في فتوحاتها في المناطق الأوروبية على إضفاء الصبغة الدينية لهذه الفتوحات، وذلك عن طريق محاولة نشر الدين الإسلامي في أوروبا وخاصة في أقاليمها الجنوبية الشرقية.

– شهدت منطقة البلقان عدة تمردات بشكل متفرق إلا أن القرن 19م يعد قرن الثورات الوطنية، وكانت الأجواء السائدة في البلقان لصالح المتمردين المسيحيين ضد الدولة العثمانية حيث عرفت هذه الدول تحالفا وإتحاد للبلقانيين بدعم من روسيا التي قامت بدور فعال من أجل تحقيق هذا التحالف لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية التي يتطلعون للحصول عليها.

– إن القومية التي تعتبر منطلقا للحروب البلقانية ضد العثمانيين كانت تمثل الحركة التي تسلطت على الفكر السياسي في أوروبا خاصة في منتصف القرن التاسع عشر وقد ظلت تمثل حلا لدول أوروبا للخروج من أزمتها، حيث بدأ البلقانيون في عقد مفاوضات سرية توصلوا في نهايتها إلى إبرام اتفاقية هجومية دفاعية بينهم ضد الدولة العثمانية، وبهذا كانت دول أوروبا خلف الشعوب البلقانية وحكوماتها.

– قامت الحرب البلقانية الأولى بين الدولة العثمانية والحكومات البلقانية (بلغاريا، الصرب، اليونان، الجيل الأسود)، وكانت نتائج هذه الحرب سلبية على الدولة العثمانية إذ أنها اقتطعت أجزاء كبيرة من ممتلكاتها في أوروبا، كما زادت من تفجير الروح القومية فيها.

– أما الحرب البلقانية الثانية فكانت بين البلقانيين أنفسهم لاختلافهم في طريقة تقسيم الغنائم التي تحصلوا عليها في حرب البلقان الأولى، ثم تدخلت الدول الأوروبية لتفرض بنود الصلح التي تمت في المعاهدة وهذا ما يؤكد أن ثورات البلقانيين وحروبهم ضد الدولة العثمانية كانت

مدعمة بشكل رئيسي من الدول الأوروبية التي حولت هذه الحرب إلى حرب صليبية ضد المسلمين، حيث ارتكبت فيها مجازر بشرية كبيرة لدرجة عجز بعض المؤرخين عن تحديد عدد القتلى من المسلمين العثمانيين في هذه الحرب.

– أدى هذا الجو السياسي والفكري الذي عاشته الدولة العثمانية بعد انكسارها في حروب البلقان إلى تزايد أخطار التمزق الداخلي فيها، وتجلى هذا في رد فعل واضح لدى الشعوب العربية تمثل في ظهور الجمعيات والمطالبة بالإصلاح في الولايات التي تخضع لحكم الدولة العثمانية، وكما أدت خسارتها أيضا إلى ظهور الأنشطة المناوئة لها ومن أبرزها نمو القومية العربية والتركية، هذا النمو لهاتين القوميتين جاء في وقت متزامن مما زاد من شدة التصادم والصراع بينهما لتصبح القومية محور الأحداث في هذه الفترة.

الملحق رقم (01):

خريطة توضح إقليم البلقان

ـ محمد محمد قروط، المرجع السابق، ص 11.

الملحق رقم (02):

خريطة توضح البلقان العثمانية عام 1912م

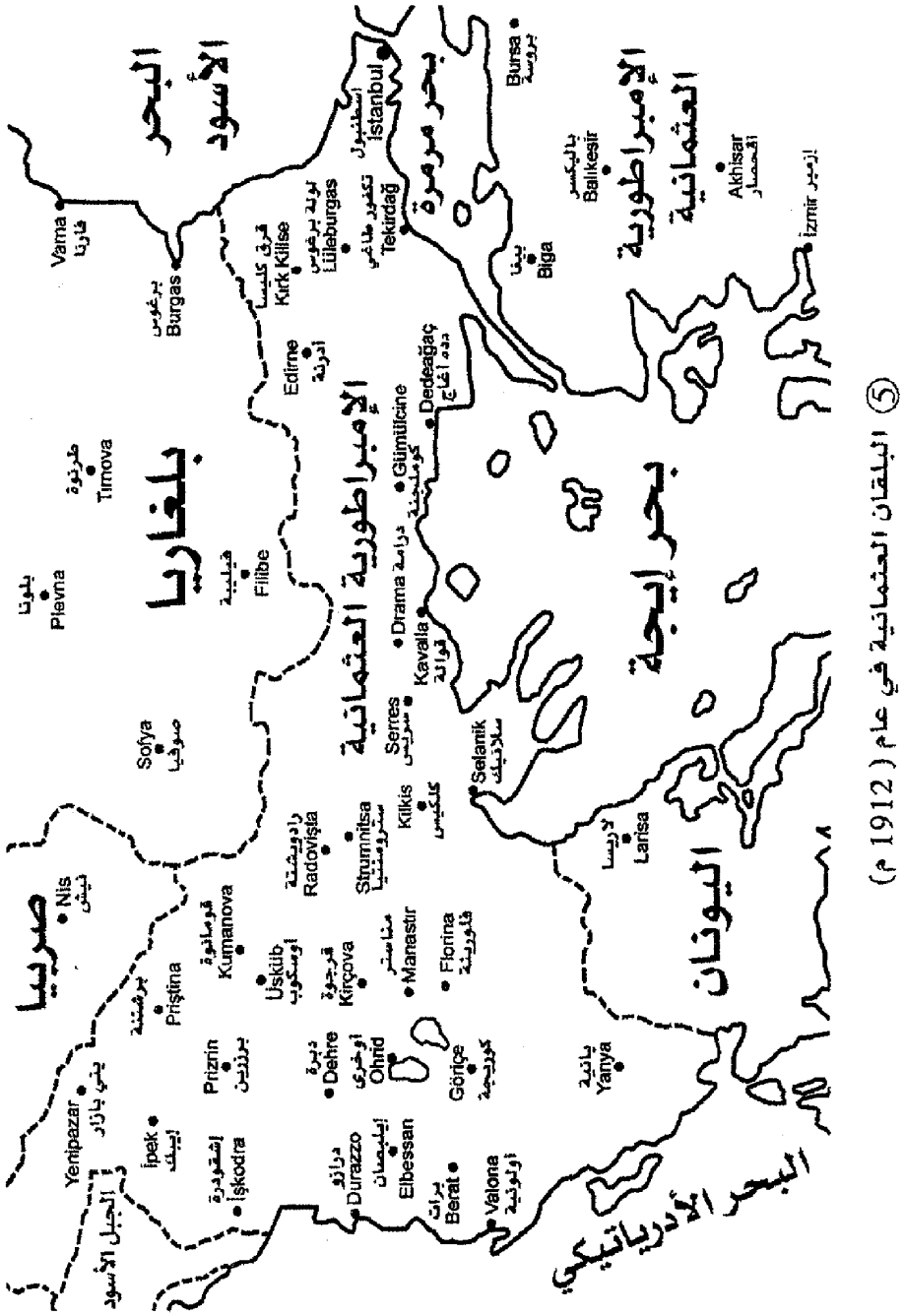

⑤ البلقان العثمانية في عام (1912 م)

ـ جستن مكارثي، المرجع السابق، ص 155.

الملحق رقم (03):

خريطة توضح الولايات التي خسرتها الدولة العثمانية في إقليم البلقان

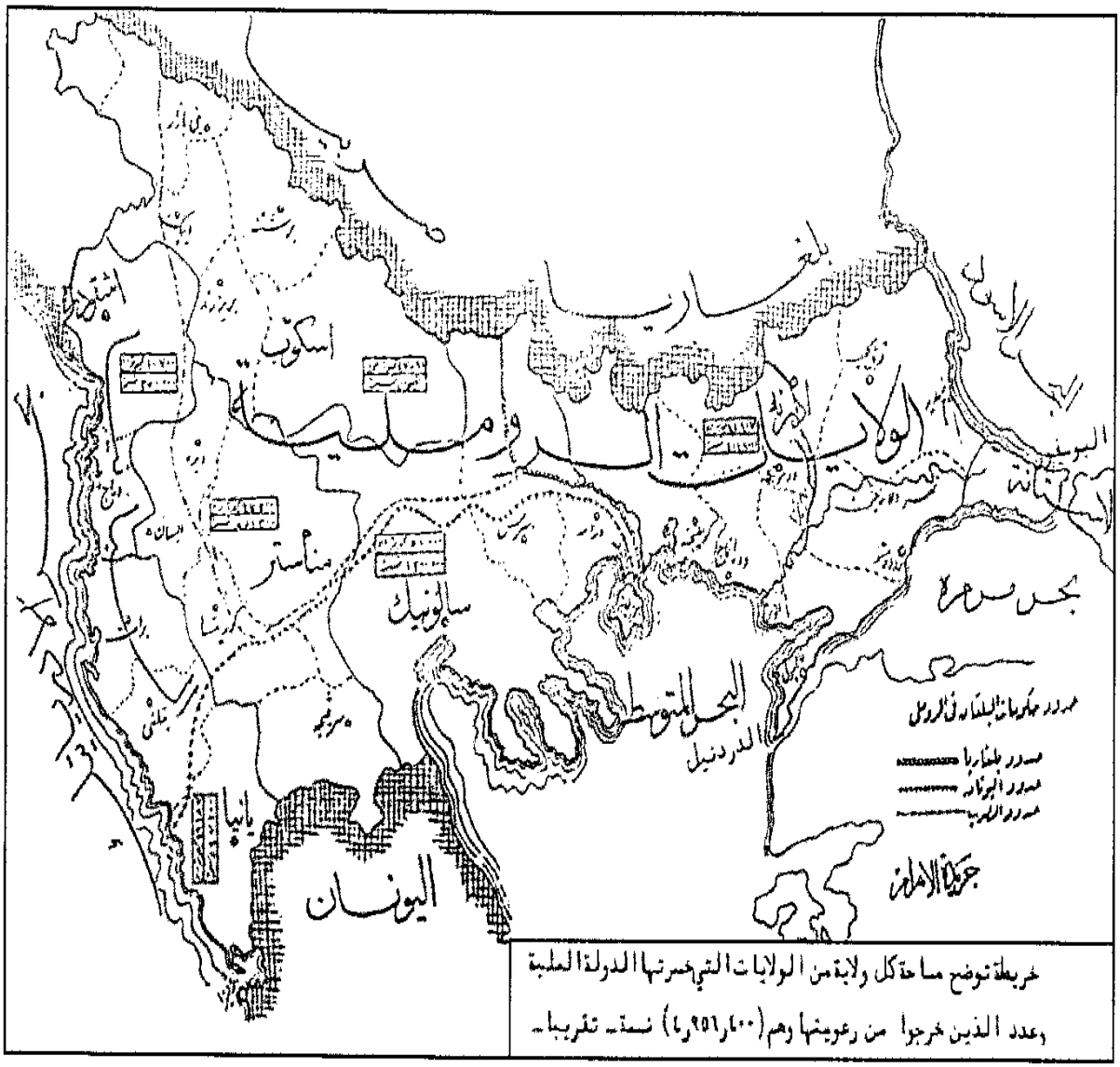

ـ محمد محمد قاروط، المرجع السابق، ص 289.

المصادر والمراجع:

1- أبو زيدون وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان،2003.

2- أبوعلية عبد الفتاح حسن وياغي إسماعيل أحمد، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، (د. ت).

3-أوغلي أكمل الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إستانبول، 1999.

4- البستاني يوسف، تاريخ حرب البلقان الأولى بين الدولة العلية والإتحاد البلقاني المؤلف من البلغار والصرب واليونان والجبل الأسود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

5- تنس فرغلي علي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001.

6- جبارة تيسير، تاريخ الدولة العثمانية (1280- 1924م)، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين،2015.

7-جرانت أ.ج وتمبرلي هارولد، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950م، ترجمة محمد أبو دره، سجل العرب، القاهرة، 1978.

8- حاطوم نور الدين، تاريخ الحركات القومية، ج1، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، 1997.

9- حاطوم نور الدين، تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم، ج2، دار الفكر، دمشق، 1995.

10-حسون علي، العثمانيون والبلقان، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986.

11-حليم بك إبراهيم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.

12- الخراشي سليمان بن صالح، كيف سقطت الدولة العثمانية، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، 2002.

13- رمضان عبد العظيم، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1996.

14- زوزو عبد الحميد، تاريخ أوروبا والولايات المتحدة 1914- 1945، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

15- شاهين ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ترجمة محمد حرب، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، 1997.

16- شوجر بيتر، أوروبا العثمانية، ترجمة عاصم الدسوقي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1998.

17- الشيخ رأفت، تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1996.

18- الصلابي علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،2001.

19- الصلابي علي محمد محمد، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة العصرية، بيروت،2012.

20- عودة محمد عبد الله والخطيب إبراهيم ياسين، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.

21- قاروط محمد محمد، هموم ومشكلات مسلمي البلقان، دار المكتبي للطباعة، سوريا، 2000.

22- لويس برنارد، إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة سيد رضوان علي، ط2، دار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، 1982.

23- المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ترجمة إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981.

24- مصطفى أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993.

25- مكارثي جستن، الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين(1821- 1922)، ترجمة فريد الغزي، جمعية أتراك السعودية،(د.ب) ،(د.ت).

26- نوار عبد العزيز سليمان وجمال الدين محمود محمد، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، حوريس للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.

27- نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

28- نوري الربيعي إسماعيل، تاريخ أوروبا السياسي المعاصر، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2002.

29- ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- H.Clemmesen Michael, Not Just a Prelude, The First Balkan War Crisis as The Catalyst of Final European War Preparations, Contribution form The October 2012 Istanbul Conference –and Anthology.

2 – Koulouri Chirstina, The Balkan Wars, Teaching Modern Southeast European History Enc, 2nd ed, petros ballidis and co, Athens, 2009.

المعاجم:

1- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000.

2- محاسيس نجاة سليم محمود، معجم المعارك التاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.

3- المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الأربعون، دار المشرق، بيروت، 2003.

الموسوعات والمجلات:

1- الأعرج عماد، دول البلقان وتأثير حروبها على القضية الفلسطينية، مجلة إبداع، العدد 53، معهد فلسطين للدراسات الإستراتيجية، فلسطين، 2009.

2- تيهان يحي محمد، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2006.

3- الخوند مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج6، الشركة العالمية للموسوعات، لبنان، 2004.

4- الزيدي مفيد، موسوعة العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

5- سنو عبد الرؤوف، العلاقات الروسية العثمانية(1687م- 1878م)، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 79- 80 بيروت، 1985.

6- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة،ج6، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، 1990.

7- الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، لبنان، 1979.

8- نزار إسماعيل عبد اللطيف، التنافس الروسي- التركي على إقليم البلقان بعد الحرب الباردة، مجلة العلوم السياسية ، العدد37، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد،(د.ت).

قائمـــــة

المصادر والمراجع